أهميـة الإعـلام

نقصد بوسائل الإعلام، الوسائل التى تستخدم فى أى مجال متحرر من قيود المدرسة النظامية التقليدية مهما تنوعت المجالات أو الهيئات.

وتعتبر الإذاعة والتليفزيون من أهم وسائل الإعلام الجماعى التى عرفها الإنسان بعد اختراع المطبعة وظهور الصحف، وتتميز الكلمة المذاعة وتتضح خطورتها بأنها أسرع وسيلة إعلامية تصل إلى الإنسان فى أى مكان على ظهر البسيطة فى يسر ودون عوائق، تصل إليه فى بيته وعمله، فى الجبل والجو والبحر والصحراء، كما تعتبر وسائل الإعلام قديما وحديثا هى المدرسة العامة التى تواصل عمل المدرسة التقليدية الابتدائية والثانوية والعالية وتتجاوزها، فتقرب الفروق بين الناس عن طريق ما تنشره بينهم من خبرات تعدّل من سلوكهم كبارا أو صغارا فيتفاهمون ويعيشون بصورة أفضل.

ولوسائل الإعلام دور متشعب فى المجتمع ظهر بجلاء بعد انتشارها على نطاق واسع فى القرن العشرين، ولذلك أخذت الحكومات على اختلاف مذاهبها الفكرية تخصص لها أقساما تشرف عليها وتوجهها نحو تحقيق أهدافها الداخلية، من حيث رفع مستوى ثقافة الشعب وحسن أداء أفراده لوظائفهم، وإكسابهم القيم الاجتماعية المرغوبة، ونحو الوصول

إلى أهدافها الخارجية من حيث تعريف العالم بحضارة شعوبها ووجهات نظرها فى المسائل العالمية.

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة فى العالم فى الوقت الحاضر التى يوجد بها نظام إذ عى يديره ويموله الأفراد.

الإذاعة والرأى العام المحلى

تلاحق برامج الإذاعة الإنسان منذ استيقاظه فى الصباح حتى أوبته إلى فراشه فى المساء، فالإنسان إذن مهما بلغت ثقافته لابدّ أن يحصل على جزء من معلوماته فى بعض ميادين المعرفة المجهولة لديه عن طريق الإذاعة.

ومع ذلك فالإذاعة بالغة الأثر بالنسبة لأنصاف المتعلمين والأميين والأطفال والشباب والنساء وخاصة ربات البيوت. وذلك لأنها على عكس القراءة فى الصحف – لا تتطلب جهدا خاصا من المستمع ولا تحول بينه وبين أداء عمله خاصة إذا كان عملا يدويا. وتسهم الإذاعة بانتشارها الواسع فى تكوين قدر من وحدة التفكير والذوق والشعور فى الأمة، ومن هنا تتضح أهمية اختيار البرامج التى تقدم للجمهور، وأهمية القيم التى تروجها هذه البرامج سواء أكانت قيما اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم جمالية، وأهمية الغذاء الثقافى والفكرى والنفسى الذى تقدمه يوميا لجماهير الشعب الواسعة.

والواقع أن للإذاعة فضلا كبيرا فى بث روح الاهتمام بالمسائل العامة بين عامة الناس، وفى سرعة تجميع جماهير الشعب حول رأى بعينه أو لفت انتباههم إلى حل مشكلة من المشكلات أو طارئ من الطوارئ. ولا شك

أن الإذاعة أداة قوية فى أيدى أولئك الذين يريدون أن يغيروا من تفكير الشعب ومن قيمه السياسية والاقتصادية والخلقية ومعتقداته الشائعة، أو على الأقل أن يحملوه على إعادة التفكير فيها ومناقشة مدى صلاحيتها وصدقها، وذلك إذا أحسنوا استغلال هذه الأداة وأحسنوا توجيهها بحيث تصبح موضع ثقة الشعب وإقباله.

ويمكن أن نلخص أثر الإذاعة بالنسبة للرأى العام المحلى فى النقاط التالية:

١ - تحقيق قدر من وحدة التفكير والشعور والهدف والقيم فى الأمة لازم لسلامة الدولة وتماسك الأمة.

٢ - حفز الناس على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ومشاغلهم على الاهتمام بالمسائل العامة ومناقشتها ومتابعتها، وهذا من شأنه تدعيم الروح الديمقراطية الصحيحة.

٣ - التخفيف من حدة العصبيات الإقليمية والإقلال من شأنها.

٤ - متابعة تثقيف الجماهير وإشباع احتياجاتهم الفكرية والنفسية والارتفاع بمستوياتهم الثقافية والفنية.

٥ - دحض الشائعات الضارة فى الحال وبخاصة فى أوقات الحروب والطوارئ ومنع حدوث البلبلة الفكرية.

وأيضا من وظائف الإعلام تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم.

وقد عرف الإعلام على أنه: تعبير موضوعى وليس ذاتيًا من جانب الإعلامى.

فهو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت.

ومن الملاحظ أن عملية التعليم ليست منفصلة عن الإعلام فإن التعليم والإعلام عملية واحدة فى جوهرها فهما كوجهى العملة، وإن وسائل التعليم ووسائل الإعلام لا تختلف فى طبيعتها، فقد اتفق علماء النفس على أن خير تعريف للتعليم أنه تغيير لسلوك المتعلم نتيجة لتعرضه لمثير أو لجملة مثيرات وهذا الاتفاق بين أساتذة علم النفس التعليمى على التعليم كتغير فى السلوك نجده واضحا بين أساتذة علم النفس الأجتماعى وعلم الاجتماع على أن الإعلام تغيير فى السلوك أيضا.

والتعليم والإعلام شىء واحد من حيث هدف كل منهما، فالتغير فى السلوك فى كليهما طريق إلى تكيف فى احياة ليعيش المتعلم عيشة أفضل، ويستمتع الإنسان فى المجتمع بحياة إيجابية أرغد.

وقبل أن تظهر وسائل الإعلام بشكلها المهم والمؤثر فى الوقت الحالى كانت الأسرة والمدرسة هما أساس تكوين شخصية الطفل وقيمه، ويقع عليهما عبء التربية، فقد كان العبء واقعا على المدرسة إلا أنه فى الوقت الحالى نجد أن المجتمع نفسه بجميع مؤسساته - سواء الدينية والاجتماعية والرياضية والإعلامية - له دور كبير فى هذا المجال، إذ تتطلب عملية تكوين الاتجاهات هذه أو تعديلها التنسيق بين مجهود المدرسة والمجتمع لما تحتاجه من وقت طويل ورعاية يستمران إلى ما بعد انتهاء التلميذ من دراسته، ولأنها عملية متجددة وبخاصة عندما يمر

المجتمع فى مرحلة إصلاح اجتماعى تتغير فيه القيم الاجتماعية أو تظهر فيه قيم جديدة.

ويفرض هذا السؤال نفسه فى المجال الإعلامى: هل تستطيع وسائل الإعلام إكساب الجماهير اتجاهات جديدة أو تعديل اتجاهاتهم القديمة؟

والإجابة السريعة على هذا السؤال: نعم، ولكنها مشروطة بحسن اختيار المادة الإعلامية وملاءمتها للجمهور المستقبل وتقديمها له فى ظروف مناسبة، وقد أيدت الأبحاث هذه الإجابة وبينت قدرة وسائل الإعلام على إكساب الجماهير اتجاهات جديدة أو التعديل من اتجاهات تقليدية إذا ما وجهت وسائل الإعلام المختلفة هذا الاتجاه.

الأدوات الإعلامية فى العصر الحالى بين الفلسفات الدولية المختلفة

لقد تجسد الإعلام فى وسائل وأساليب وأدوات عديدة ومتجددة ومتطورة، ومن هذه الوسائل: الصحافة.. الإذاعة.. التليفزيون.. دور النشر.. المعارض.. المتاحف.. والمحاضرات والندوات.

والإنسان منذ القدم كان يمارس الإعلام بعفوية دفعته إلى اعتبار المنطق وسيلة للتفاهم والإقناع، وكان لسانه بعد فكره وسيلته الإعلامية الأولى.

ومما سبق يمكننا أن نستنتج أن دور الإعلام فى أى مجتمع يمثل دور الأداة الرئيسية المساعدة على تحقيق تقدمه المتطور باستمرار ونمائه المتزايد على الدوام وذلك عن طريق ما ينقله إلى جماهير المجتمع من

أفكار ومفهومات وقيم ومبادئ تساعدهم على تحقيق تطورهم وتقدمهم ونمائهم المنشود اجتماعيا وماديا وثقافيا.

والحقيقة التي لا جدال فيها هي أن أبرز صفة يمكن أن يوصف بها هذا العصر أنه عصر الإعلام. والإنسان في نظر رجال الإعلام (نفس إعلامية) تتغذى بالخبر وتنمو بالفكر وتتعافى باللحن، ومن هنا تبدو أهمية الإعلام في السيطرة على جمهور الناس وتوجيه مشاعرهم الوجهة التي يريدها (الموجّه) فإن وضعت في الخير كانت وسيلة لا تضاهى في البناء وإن وضعت في غير ذلك كانت شرا مستطيرا.

والإعلام في جميع بلاد الدنيا – ما عدا غالبية البلاد الإسلامية يسير وفق سياسة مرسومة ومنهج واضح بيّن يخدم مبادئ القائمين عليه والمسيّرين له. ففي دول (المنظومة الاشتراكية) يقوم الإعلام بدور فعال في الدعوة إلى الاشتراكية وتثقيف الجماهير بها ودحض الأفكار والسياسات التي تخالفها، والنظرية الشيوعية ترى أن وسائل الإعلام ليست إلا لخدمة سياسة الدولة الشيوعية ومصالحها، ولتعبئة الرأي العام وربطه بمنهج الدولة وتوجهاتها، وفي دول الغرب الأوربية والأمريكية نجد أن الحال هو نفسه من قيام الإعلام بالترويج للنظام الحر والإشادة بالديمقراطية والرأسمالية والتحريض على الماركسية فكرًا وسياسة.

ولكن الأمر مختلف عندنا في الدول العربية والإسلامية لأن وسائل الإعلام في العالم الإسلامي قد نشأت في فترات احتلال الدول الكبرى له عسكريا وفكريا فجاءت بشكل طبعي متأثرة به مظهرا وجوهرا، وحتى اليوم وبالرغم من استقلال معظم هذه الأقطار ظاهريا وإداريا، فإن وسائل الإعلام لاتزال متأثرة إلى حد كبير بأفكار الغرب وطبائعه.

وبالنسبة لمصر فقد نالت وسائل الاتصال فى جمهورية مصر العربية اهتماما كبيرًا من المسئولين، كما اهتمت الدولة بوسائل الاتصال الجماهيرية، وعكفت على توفير المزيد من هذه الوسائل لأفراد الشعب وأنشأت التليفزيون العربى فى يوليو ١٩٦٠ كما زادت النشاط الإذاعى، وكذلك اهتم المربّون وعلماء النفس والاجتماع بوسائل الاتصال محاولين تفهم دورها وكيفية استخدامها فى رفع المستوى التعليمى النظامى والمستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى لأفراد الشعب، وفى توعية المجتمعات فى النواحى السياسية وغيرها والفلسفة الإعلامية قد تكون بناءة وقد تكون هدامة، فكما عرفنا مما سبق أن من أهداف الإعلام البنّاءة القدرة على ربط الفرد والمجتمع بعقيدته من خلال الحديث والقصة والمسرحية والتمثيلية، وهو قادر على أن يشده دائما إلى القيم العلا والأخلاق الكريمة وينفره من الانحراف والجريمة والسقوط أيا كان، فكما أن للإعلام الوجه الجميل المضيء البنّاء فإن له وجها آخر قبيحا رهيبا مخيفا إن هو وضع فى ذلك السبيل، ولا نبالغ إذا قلنا إن ما يبنيه واعظ فى مسجد أو معلم فى مدرسة أو داعية فى منتدى يمكن أن يهدمه الإعلام المنهزم فى ساعات، وذلك للقوى والسياسات الخفية والظاهرة المنحرفة التى تحكمه، وفى الحقيقة أن الإعلام إن وضع فى أيد أمينة وحكمته سياسة بنّاءة هادفة كان له أثر كبير وسريع على حياة الناس وتوجهاتهم.

وخلاصة القول: إن الإعلام وسيلة ذات حدين، وأداة لها نتائجها ومحصلتها بحسب توجيه الإنسان لها وتسخيره إياها، والإعلام السليم يستطيع أن يلعب دورًا بالغًا فى بناء الأمة وتكوين أجيالها ودفعها فى سلم الحضارة والرقى.

وإذا كانت فلسفتنا المصرية العربية التربوية المتبعة لتربية النشء

تتجه إلى بث القيم الإيجابية التربوية الإسلامية وتعميقها فى نفوس الأطفال، فإن الإعلام الموجه للطفل لابدّ وأن يخدم هذه القضية. وإذا كان من المقرر تربويا أن كل مرحلة من مراحل عمر الإنسان تحتاج إلى أهداف خاصة وأسلوب وتخطيط مختلفين عن المراحل الأخرى، فإنه ولا شك أن القدرات العقلية والنوازع النفسية والعواطف والميول والاتجاهات والاهتمامات وحتى الرغبات تختلف من مرحلة إلى أخرى. ومن ثم يقوم التخطيط والتنسيق المنهجى تربويا والبرامجى إعلاميا على أساس مرحلة العمر، ومن ثم أساس الخصائص النفسية والعقلية للفئة الموضوع لها المنهج أو الموجه إليها البرنامج، شريطة أن يكون هذا الإعداد فى إطار الأهداف الإسلامية والعربية منضبطا ومحكوما بالقيم الإسلامية والعربية كذلك. ولكن الاتفاق أو وحدة الهدف لجميع المراحل لا يمنع - بطبيعة الحال - الاختلاف فى الأسلوب التربوى والإعلامى الموجه للأطفال فى كل مرحلة، عن الأسلوب الموجه به برامج الكبار.

دور المذياع فى الحياة

لقد عظم دور المذياع منذ اختراعه وحتى الآن بالرغم من ظهور اختراعات جديدة أحدث منه كالتليفزيون والفيديو، إلّا أن قيمة المذياع لم تنحدر كثيرا أو تنتهى تماما من حياة الأفراد وإلا لما كان هناك إرسال إذاعى ممتد طوال الـ ٢٤ ساعة بالمقارنة للإرسال التليفزيونى وغيره.

وعظم دور المذياع فى الحياة يرجع لأسباب كثيرة منها سرعة التغير والانتشار المستمر والفراغ.. إلخ فلقد أصبح المذياع اليوم من الأدوات التى تؤثر فى الحياة اليومية للأفراد والجماعات وشمل استخدامه الترفيه والتوجيه والتعليم سواء داخل الحجرات الدراسية أم خارجها.

وقد لازم التطور فى تكنولوجيا الاتصال واستخدام وسائل أخرى الاهتمام بأثر هذه الوسائل على الناس، وبلغ هذا الاهتمام ذروته فى النصف الثانى من القرن العشرين. وخططت أبحاث ودراسات لتحديد فاعلية هذه الوسائل وطرق استخدامها وآثارها على الناس، واهتم المربّون وعلماء النفس والاجتماع بوسائل الاتصال محاولين تفهم دورها وكيفية استخدامها فى رفع مستوى التعليم النظامى والمستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى لأفراد الشعب فى توعية المجتمعات فى النواحى السياسية وغيرها.

ويمكن أن نقول: إنه من الجهل أو من العبث أن كثيرا من الناس يجهلون، حتى اليوم، مدى أثر (الإعلام) على المجتمع والناس والأجيال ويعتبرون (الوسائل الإعلامية) مجرد وسائل للتثقيف والتسلية غافلين عن عمق أثرها فى تكوين عقليات الناس ونفسياتهم وسلوكهم، وبالتالى فى تحديد نمط حياتهم. والإذاعة جزء مهم من وسائل الإعلام كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وتنقسم الإذاعة إلى «سلكية ولا سلكية»، الأولى تسمى أحيانا إذاعة داخلية، وتزداد سعة الإذاعة اللاسلكية (الراديو)، حيث يتمكن المرسل باستخدام الراديو من مخاطبة الناس، وقد فصلته عنهم المئات أو الآلاف من الكيلو مترات يسمعونه جميعا فى وقت واحد، ويعتبر الراديو أداة تفاهم فى اتجاه واحد ينقل إلى المستقبل من المرسل شيئا. هذا بالنسبة لطبيعة عمل المذياع، وذلك باستثناء اعتبار خطابات المستمعين فى الوقت الحالى وتليفوناتهم ردًا على بعض البرامج أو استفسارا عن موضوع معين عملية نقل من المستقبل للمرسل.

* انتشار الراديو:

وقد تعود أهمية الإذاعة لأن لها قدرات إضافية تتعلق بالناحية النفسية لأثر هذه الأداة نفسها على المستقبلين، فلتضخيم الصوت وتعميقه وللمؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية والتعبيرية أثر فى نفس السامع، ينقل إليه الإحساسات الانفعالية المختلفة ويزيد من تأثيرها فى النفوس معنى وانفعالا، كذلك فإن لطبيعة الراديو نفسه كأداة مملوكة للسامع وانبعاث الصوت من سماعته أثر آخر. إذ يحس كل مستقبل أن الحديث موجه إليه هو.

ويرجع إحساس السامع بملكيته وحده لحديث الراديو إلى وضوح الصوت أيضا؛ لأن الراديو يقدم صورة صوتية عالية التحديد، وهو امتداد للقوى السمعية و لصوتية عند الإنسان، ولأن الصور السمعية الصادرة منه أول ما يربط بين أفراد المجتمع الإنسانى غير القارئ، وكذلك مبتدئى التعليم، والأطفال ذوى السن المبكرة.

ويلعب جهاز الراديو ومنذ فترة دورًا واضحًا نظرًا لرخص ثمنه وشيوع استخدامه بالتالى، وخاصة بعد انتشار الأجهزة التى تعمل بالبطاريات الجافة مما سهل حمله ونقله إلى أى مكان وفى أى وقت.

ويرجع هذا إلى ما تشير إليه نتائج الأبحاث الميدانية المختلفة، ففى بحث أجرى على إحدى القرى وجد أن نسبة المالكين لأجهزة (الراديو) إلى عدد أفراد العينة تصل إلى ٩١,٣٪ وهى نسبة مرتفعة كما هو واضح. كما لوحظ أن نسبة الذين يمارسون نشاط الاستماع بانتظام تصل إلى ٨٣,٣٣٪، أما الذين يستمعون إليه أحيانا فهم حوالى ١٠٪، مما يؤكد

أهمية هذا الجهاز كوسيلة إعلامية وتثقيفية وتعليمية كبرى. وتتسق هذه النتائج مع نتائج بحث سابق له حيث وجد أن ٩٤,١٢٪ من العينة يستمعون إلى الراديو، منهم ٦٢,٧٥٪ يستمعون إليه بانتظام فى حين أن ٣١,٣٧٪ يستمعون أحيانا إلى برامجه، أما الذين لا يستمعون فقد كانوا يمثلون ٥,٨٨٪ فقط من العينة. وفى بحث آخر أجرى على فئة محددة هم عمال الزراعة بإحدى القرى، ومع انخفاض مستوى معيشتهم وجد أن ٧٨,٨٪ من أفراد العينة يستمعون إلى جهاز الراديو. ومن هنا تؤكد العديد من الأبحاث الميدانية المصرية على تصدّر الراديو بالنسبة لاستخدامه كأداة ترفيه وإعلام[١]. ومن ذلك يعتبر عند المستمع بمثابة الصديق أو الرفيق، ويتحول فى نظره إلى شخصية متجسدة تثير أحيانا، وتريح أحيانا، وبالرغم من أنه رفيق ونافع ومفيد، يكشف عن الأحداث وينبئ بأحوال الطقس ويرفه عن الناس وبخاصة سكان الضواحى والأقاليم فإنه غير طفيلى، فبين المستمع وبينه مفتاح صغير، يفتحه فيتكلم ويغلقه فيسكت. وقد استطاعت الإذاعات الحديثة أن تقدم عددًا كبيرا من البرامج المتنوعة والمحطات المختلفة، حتى أصبح أمام المستمع مجال متسع للانتقاء والاختيار وفقا لحالته المزاجية فأمامه الأخبار الجادة والتعليقات السياسية والبرامج الخفيفة والموسيقى والأناشيد والتمثيليات والندوات والأغانى وغيرها، وقد دأبت بعض الإذاعات على تخصيص برامج جادة وأخرى خفيفة ونالئة ثقافية عميقة[٢]. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يوجد

---

(١) نادية جمال الدين: «وسائل الاتصال الجماهيرى وإمكانياتها التعليمية فى القرية المصرية» مقال منشور فى كتاب التربية المعاصرة، العدد الثانى، السنة الأولى سبتمبر سنة ١٩٨٤.

(٢) إبراهيم إمام: «الإعلام والاتصال بالجماهير، مرجع سابق. ص ١٨٨.

برامج موجهة فعلا لفئات الشعب المختلفة فهناك برامج موجهة للريف وهناك برامج موجهة للعمال وغيرهم، وهناك برامج موجهة للشباب والمرأة وهناك أخيرا - وهذا ما يهمنا - برامج موجهة للأطفال. كما تتنوع كيفية البرامج. أى توجد نوعيات مختلفة من البرامج، فهناك برامج سياسية وهناك برامج تعليمية، وثقافية ، وفكاهية... إلخ.

وبرامج الأطفال قد تجمع بين هذه الأهداف جميعًا كما سيتضح ذلك عند الحديث عن أهداف برامج الأطفال وفق الخطة الإذاعية الموضوعة.